القواعد التفسيرية المتعلقة بالإشارات العلمية للقرآن الكريم

جمعا ودراسة ونقدا

السيد سيد أحمد نجم [1]

الملخّص

تعد قضية التفسير الإشاري العلمي من أهم القضايا التي تم طرحها في الآونة الأخيرة، وقد تجرأ البعض على النص القرآني بحجة التفسير الإشاري فكان لابد من استنباط القواعد الضابطة لذلك، ويهدف هذا البحث لمعرفة أهم الضوابط للتفسير الإشاري مع ذكر نماذج من المخالفين لتلك القواعد والرد عليهم، تنبع مشكلة الدراسة الرئيسة من أهميتها التي وسمت بها وتكمن مشكلة البحث في آراء بعض المتحدثين عن التفسير العلمي أو الإشارات العلمية للقرآن الكريم بغير ضوابط ولا قواعد، مما أدى إلى ظهور آراء خاطئة تحمّل النص القرآني ما لا يحتمل، فكان لابد من قواعد ضابطة لذلك، وكان لزاما أن يكون منهج البحث الاستقرائي التحليلي النقدي لتتبع النماذج المخالفة والد عليها، وتظهر أهمية البحث في الاجتهاد في جمع قواعد التفسير العلمي حفاظا على روح النص وعدم ليّ أعناق النص القرآني، كما يظهر البحث نماذج من التفسير العلمي المقبول، ونماذج أخرى – في ثنايا البحث – للتفسير العلمي المرفوض والرد عليها، وقد توصل البحث لعدة نتائج وهي: أولا: لا يمكن قبول التفسير الإشاري إلا بضوابط صارمة منها: لا يفسر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض أو النظريات إلى مقام اليقينيات التي لا يتطرق إليها التغيير والتبديل .ثانيا: كثير ممن تكلموا في التفسير الإشاري – إلا من رحم الله– يلوون أعناق النصوص، والقرآن الكريم في غنى عن ذلك لأنه (تنزيل من حكيم حميد).ثالثا: لا تناقض بين القرآن وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائط الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: التفسير الإشاري – التفسير العلمي – الإعجاز العلمي – قواعد التفسير.

[1] أستاذ مشارك التفسير وعلوم القرآن الكريم – جامعة المدينة العالمية – ماليزيا– elsayed.negm@mediu.my

Explanatory rules relating to scientific references to the Holy Quran

Collection, study and criticism

Sayed negm

Abstract

The issue of scientific indicative interpretation is one of the most important issues that have been raised recently, and some have dared the Quranic text on the pretext of indicative interpretation, so it was necessary to devise the rules governing that, and this research aims to know the most important controls for indicative interpretation with mentioning examples of violators of those rules and responding to them, The main problem of the study stems from its importance that was marked by it and the research problem lies in the opinions of some speakers on the scientific interpretation or scientific references to the Holy Quran without controls or rules, which led to the emergence of false opinions that bear the Qur'anic text is not possible, so it was necessary to control rules for that It is imperative that the method of critical analytical inductive research in order to follow the contradictory models is a parent The importance of research in ijtihad appears in collecting the rules of scientific interpretation in order to preserve the spirit of the text and not twisting the Qur'anic text, as the research shows examples of acceptable scientific interpretation, and other models - in the folds of the research - for the rejected scientific interpretation and its response, and the research has reached several results, namely: First: An indicative interpretation can only be accepted with strict controls, including: The Qur'an is only interpreted with scientific certainty, or by established facts that have risen from the degree of assumptions or theories to the position of certainty that change and alteration does not address. Second: Many of those who spoke of the indicative interpretation - except those who have mercy on God - twisted the necks of the texts, and the Holy Qur'an goes without saying that because it (a download from Hakim Hamid). Third: There is no contradiction between the Qur'an and the established scientific facts on human media..

Keywords: indicative interpretation - scientific interpretation - scientific miracle - rules of interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

أنزل الله – عز وجل – كتابه الحكيم هداية للناس وبياناً لهم، ونوراً يستضاء به إلى سعادة الدنيا والآخرة، فكان – كما أراد الله عز وجل – نوراً وهداية ومعجزاً للثقلين، وكيف لا وهو الذي لا تنقضى عجائبه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وظهر في هذا العصر مصطلح (التفسير العلمي) والمقصود به التفسيرات التي تكشف في بعض الآيات معانى وإشارات لم تكن معروفة من قبل، ولا كان في الإمكان معرفتها؛ لأنها نتيجة ما تم من كشف علمي وتقدم فيما يسمى بالعلوم الحديثة. وصارت هذه المعاني والإشارات العلمية القرآنية وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم. وقدمت لنا الكتابات في هذا الموضوع ما هو حق، واشتمل بعضها على ما ليس كذلك .

فهناك دراسات ولت هذا الموضوع اهتماماً بالغاً من غير ضوابط، على الرغم من حماس أصحابها وصدق نياتهم فأدى ذلك إلى نتائج عكسية، مما جعل كثيراً من الناس يرفضون هذا المنهج في تفسير كتاب الله – تعالى –؛ إبعاداً للقرآن الكريم عن مجال التجربة والإخضاع للنظريات العلمية المتغيرة، أو تحميل النصوص ما لا يحتمل من الدلالات.

فهناك فريق عارض هذا اللون من التفسير واعتبره خروجاً عن أهداف القرآن الكريم. وهناك من أيده ودافع عنه بل وأفرط فيه، وهناك من اعتدل وتوسط.

فمن المؤيدين للتفسير العلمي الإمام الغزالي، الفخر الرازي، الزركشي، السيوطي، البيضاوي، نظام الدين النيسابوري، ومن المعاصرين الآلوسي، وطنطاوي جوهري، والإسكندراني، والكواكبي، ومُحَمَّد فريد وجدى، والرافعى، والقاسمى[٢]، والإمام مُحَمَّد عبده، وتلميذه الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، والشيخ عبد الحميد باديس، والشيخ مُحَمَّد أبو زهرة، ومحدث المغرب أبو الغيض أحمد بن صديق الغمارى وغيرهم.

ومن أدلة المؤيدين للتفسير العلمي:

١- الاستدلال بظاهر عموم الآيات:

كقوله – تعالى – ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله – سبحانه –: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله – سبحانه –

٢ الرومي، فهد، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، (ص/٣١٨).

: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣] وغير ذلك من الآيات.

٢- الاستدلال بظاهر بعض الأحاديث والآثار:

كقوله – ﷺ –: « ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها ؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.... ».[٣]

٣- وقالوا: إن الله – سبحانه وتعالى – ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزاً لما ملأ الله كتابه منها.[٤]

٤- تحقق فوائد كثيرة ومنافع كثيرة من التفسير العلمي منها.[٥]

٥- أن العلم الحديث قد يكون ضرورياً لفهم بعض المعانى القرآنية[٦]، منها:

أ- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ج- امتلاء النفوس إيماناً بعظمة الله ﷻ وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن.[٧]

ومن المعارضين للتفسير العلمي أبو حيان الأندلسى، والشاطبى، والشيخ محمود شلتوت، وأمين الخولى،

---

٣ أخرجه الترمذي في "سننه" (٢٢/٥) كتاب : **فضائل القرآن** – باب : فضل من قرأ القرآن- دار الغرب الإسلامي - بيروت – ١٩٩٨م، والدرامي في "سننه" (٤/ ٢٠٩٨) كتاب : **الصلاة** – باب : فضل من قرأ القرآن- ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ. .

٤ الرازي، أبو عبدالله ، **مفاتيح الغيب**، (٢٧٤/١٤) دار إحياء التراث العربي – بيروت- ١٤٢٠هـ .

٥ الرومي، فهد، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، (ص/٣١٩).

٦ **المصدر نفسه**، (ص/٣١٩).

٧ الرومي، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، (ص/٣١٩ وما بعدها).

وسيد قطب وغيرهم[٨].

وحجتهم – إجمالاً – أن القرآن كتاب هداية، وان الله – عز وجل – لم يتنزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف.

إن التفسير العلمي للقرآن يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم التي لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير.

إن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المكلف الذي يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.

وقبل أن أذكر الرأي الذي أختاره؛ لابد من تعريف التفسير العلمي، والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي.

تعريف التفسير العلمي:

لم أقف على تعريف التفسير العلمي عند القدامى، ولعل السبب أن لفظ التفسير العلمي للقرآن لم يظهر إلا في العصر الحديث؛ رغم خوض بعض القدامى فيه بين مؤيد ومعارض، كالإمام الغزالى، والشاطبى.

أما في العصر الحديث فقد تعددت أقوال أهل العلم حول تعريف التفسير العلمي، فمن هذه التعريفات:

١- ما قاله الأستاذ أمين الخولى بأنه: " هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها ".[٩]

ويقترب الدكتور موسى شاهين لاشين من التعريف السابق، فيقول:
"يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته".[١٠]

ويقترب – أيضاً – من التعريفين السابقين، تعريف الأستاذ مُحَمَّد الصباغ له حيث يقول:
"إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية ".[١١]

---

٨ **المصدر نفسه**، (ص/٣١٩ وما بعدها).

٩ أمين الخولي، **التفسير: معالم حياته – منهجه اليوم**، (ص/١٩ وما بعدها).

١٠ لاشين، موسى شاهين، **اللآلىء الحسان**، (ص/٣٣٦).

١١ الصباغ، مُحَمَّد، **لمحات في علوم القرآن**، (ص/٢٩٣).

٢- وعرفه الدكتور فهد الرومى بقوله:

"هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبى على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان".[١٢]

ولعل كلمة (اجتهاد) في هذا التعريف تجعله أقرب إلى الصواب من التعريفات السابقة، ليدخل في ذلك التفسير العلمي المقبول والمرفوض.

- **مشكلة البحث:**

تنبع مشكلة الدراسة الرئيسة من أهميتها التي وسمت بها وتكمن مشكلة البحث في آراء بعض المتحدثين عن التفسير العلمي أو الإشارات العلمية للقرآن الكريم بغير ضوابط ولا قواعد، مما أدى إلى ظهور آراء خاطئة تحمّل النص القرآني ما لا يحتمل، فكان لابد من قواعد ضابطة لذلك.

- **أسئلة البحث:**

- ما القواعد التفسيرية للإشارات العلمية للقرآن الكريم ؟
- كيف نرد على من يلوون أعناق النص القرآني ؟
- ما الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي ؟

- **أهداف البحث:**

بيان القواعد الحاكمة على ما يعرف بالتفسير الإشاري العلمي.

بيان نماذج من التفسير العلمي المقبول.

بيان الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

- **أهمية البحث:**

تكمن أهمية البحث في الاجتهاد في جمع قواعد التفسير العلمي حفاظا على روح النص وعدم ليّ أعناق النص القرآني، كما يظهر البحث نماذج من التفسير العلمي المقبول، ونماذج أخرى – في ثنايا البحث – للتفسير العلمي المرفوض والرد عليها.

- **الدراسات السابقة:**

---

١٢ الرومي، فهد، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (٥٤٩/٢).

- التفسير العلمي بين القبول والرد عرض ودراسة: بحث صغير الحجم للباحث: عبدالسلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية بغزة، وبالاطلاع على البحث وجدته لم يتناول هذه القواعد التي ذكرتها في بحثي.
- التفسير العلمي للقرآن الكريم – مؤشرات وملامح: للباحث: د. محيي الدين عبد الله حسن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

وقد تكون البحث من عدد من المحاور ضمت في ثناياها المؤشرات والملامح كالآتي:

١. تفسير القرآن الكريم والمعرفة العلمية.
٢. التمييز بين التفسير العلمي الإعجاز العلمي.
٣. نشأة النزعة العلمية لتفسير القرآن وتطورها.
٤. ضوابط التفسير العلمي للقرآن الكريم.
٥. التفسير العلمي للقرآن أم التأويل العلمي؟
٦. نموذج من صور التفسير العلمي للقرآن.
٧. التفسير العلمي وقواعد التعرف علي الإعجاز.

– قواعد التفسير جمعا ودراسة للشيخ: خالد السبت – دار ابن عفان–، من جزئين، لكنه لم يتكلم عن قواعد التفسير الإشاري.

وهناك دراسات أخرى قريبة في عنوانها إلا أنها دراستي تختلف عنها في الطرح وفي استخراج القواعد،وكذلك في التطبيق.[١٣]

تمهيد

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

بداية لابد من ذكر حقيقة ينبغى إدراكها وهى: أن المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمي كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية.

وربما — بعد معرفة الفرق بينهما — تزول الحواجز القائمة بين المؤيدين والمنكرين للتفسير العلمي.

[١٣] للاستزادة: ينظر الرابط التالي: https://riyadhalelm.com/catsmktba-779.html.

" فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أوسع وأشمل من التفسير العلمي؛ إذ يكفى لإبراز إعجاز القرآن الذي أفاض في الحديث عن آيات الأنفس والآفاق، بيان أنه على الرغم من تقدم العلم وكشفه كثيراً من أخطاء العلماء السابقين، ومن فساد تصورات دينية كثيرة مدونة في كتب الأديان القديمة، لم يثبت هذا العلم حقيقة مناقضة لشيء في القرآن الكريم.

أما التفسير، فهو ربط بين دلالات النصوص ومكتشفات العلم الحديث، كأن هذا المكتشف أو المخترع هو مدلول النص القرآنى ".[١٤]

وهذا المعنى يؤكده الدكتور فهد الرومى فيقول:

"... قد أنزل القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمن عرض لكثير من مظاهر هذا الكون كخلق السماوات والأرض وخلق الإنسان، وسوق السحب وتراكمها، ونزول المطر، وجريان الشمس، وتحدث عن القمر والنجوم والشهب، وأطوار الجنين. وعن النبات والبحار وغير ذلك كثير، ومع ذلك كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته، ولم يصادم جزئية من جزئياته، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازاً علمياً للقرآن، حتى ولو لم يتم الربط بين الآية والاكتشاف العلمي الحديث.

وهذا أمر يدركه ويقره كل العلماء، لا ينكره أحد، فالإعجاز العلمي في القرآن متحقق مدرك ثابت، لا خلاف فيه.

ثم انقسم العلماء بعد ذلك إلى قسمين: فمنهم من قال: مادام الإعجاز العلمي متحققاً في القرآن وثابتاً فما علينا أن نطبقه بين آياته واحدة واحدة وبين الحقائق العلمية واحدة واحدة. وامتنعت طائفة أخرى عن تطبيقه لا خوفاً عليه من النقض، وليس لخشية على حقائقه، ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر، فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية، فما تلبث إلا قليلاً حتى تتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، ولات حين مناص نقع في الحرج الشديد، فيكذب القرآن وهو الصادق، فتكون البلية، فالعيب والنقص في مداركنا وليس في حقائق القرآن ".[١٥]

وبهذا ندرك أن الجميع يقول بالإعجاز العلمي في القرآن، لكن منهم من قال بجواز التفسير العلمي، ومنهم من منعه، والذى نراه صواباً هو الوسط بين الفريقين.

فلا رفض ولا إنكار للتفسير العلمي يمنع من إدراك وجوه الإعجاز الجديدة، ويدفع مزاعم القائلين بالعداوة

---

١٤ الزنيدى، عبد الرحمن، **مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر**، (ص/١٥٨ وما بعدها).

١٥ الرومي، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، (ص/٣٢١).

بين الدين والعلم، ويمنع من استمالة غير المسلمين، أو يحث على الانتفاع بقوى الكون.

ولا تسليم مطلق للتفسير العلمي لأن إعجاز القرآن ثابت وغنى عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك.

إذا فلا رفض مطلق، ولا قبول مطلق، بل وسط بين طرفين، وجمع بين حقيقتين: حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين[١٦].

إذا من الممكن الخروج بخلاصة مفادها:

أن كون القرآن الكريم كتاب هداية لا يمنع أن ترد فيه إشارات علمية يوضحها التعمق في العلم الحديث، فقد تحدث القرآن عن السماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار وسائر الظواهر الكونية، ولم يكن هذا الحديث منافياً لكون القرآن الكريم كتاب هداية، فمن مقتضى هذه الإشارات نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق وفى الأنفس من آيات الله.

ولكن السؤال – هنا – هو: كيف لنا ذلك ودون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة ؟ هنا ينفع المثال:

" يقول القرآن الكريم مثلاً: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [الفرقان: ٢]ثم تكشف الملاحظات العلمية أن هناك موافقات دقيقة، وتناسقات ملحوظة بدقة في هذا الكون.. الأرض بهيئتها هذه، وبعد الشمس والقمر بالنسبة لحجمها، وبسرعة حركتها هذه، وبميل محورها هذا، وبتكوين سطحها هذا... وبآلاف من الخصائص... هي التي تصلح للحياة وتواؤمها.. فليس شيء من هذا كله فلته عارضة، ولا مصادفة غير مقصودة... هذه الملاحظات تفيدنا في توسيع مدلول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا كَانُوا۟ ﴾ وتعميقه في تصورنا... فلا بأس من تتبع مثل هذه الملاحظات لتوسيع هذا المدلول وتعميقه.[١٧]

أما محاولة إخضاع آيات القرآن لنظريات، وتتكلف في تحميل آيات القرآن ما لا تحتمل، دون ضوابط ولا قواعد فهذا هو المرفوض، والله أعلم.

المبحث الأول

قاعدة: لا يفسر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض أو

---

١٦ **نفس المصدر**، (ص/ ٣٢٢) وما بعدها.

١٧ الصباغ، **لمحات في علوم القرآن**، (ص/٢٩٨).

النظريات إلى مقام اليقينيات التي لا يتطرق إليها التغيير والتبديل.[١٨]

فلا يفسر القرآن بالنظريات التي لم تستقر ولا بالفروض التي تتغير وتتبدل، لأن " كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي.. كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم:

الأول: هو الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن، والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقيقته.

والثاني: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته. وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة، تعالج بناء الإنسان، بناء يتفق – بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية – مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره.

والثالث: هو التأويل المستمر – مع التمحل والتكلف – لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر ".[١٩]

فمن التفسير العلمي المقبول توضيح التشبيه في قوله – تعالى –:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] في ضوء ما وصل إليه العلم.

وقد نزلت هذه الآية على رسول الله – ﷺ – قبل أن يصل الإنسان بوسائله الحديثة التي هيأتها له قدرة الله – تعالى – إلى اختراع الوسائل التي استطاع بواسطتها الصعود إلى طبقات عالية من الجو. وقبل أن يعرف الكثير عن مكونات الهواء وخواصه ولزومه للحياة، مما جعل المفسرين القدامى يقولون في التماس وجه الشبه في هذا التشبيه (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ): إن الإنسان إذا كلف الصعود إلى السماء ثقل ذلك التكليف عليه وعظم وصعب وقويت نفرته منه فكذلك الكافر يثقل عليه الإيمان وتعظم نفرته منه، هذا وجه، أو أن يكون التقدير: إن قلب الكافر ينبو عن الإسلام ويتباعد عن قبول الإيمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الأرض إلى السماء.[٢٠]

---

١٨ زرزور، عدنان، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، (ص/٤٠٥).

١٩ الصباغ، **لمحات في علوم القرآن**، (ص/٢٩٧) بتصرف.

٢٠ الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٣/١٥٠).

أو كأنه يزاول أمراً غير ممكن، لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة.[٢١]

وهذا التحليل وذاك في كيفية التشبيه معقول ومقبول.

وعندما استطاع الإنسان أن يصعد إلى طبقات عالية من الجو أصبح هناك وجه آخر في كيفية التشبيه، حيث ثبت أن الأوكسجين هو أساس الحياة على هذه الأرض؛ فهو عند استنشاقه يجدد نقاء الدم ويكسب الكائنات القدرة على العمل، وهو يخرج مع هواء الزفير على هيئة غاز ثاني أوكسيد الكربون. كما يدخل – أيضاً – في جميع عمليات الاحتراق. وعندما يتراكم ثاني أوكسيد الكربون في الجو تمتصه النباتات لتستخلص منه الكربون وتعيد الأوكسجين إلى الجو خالصاً نقياً، ويتم ذلك بتأثير ضوء الشمس.

وعلى هذا النحو تستمر الحياة على هذه الأرض إلى ما شاء الله من غير أن ينفد الأوكسجين، إذ تعتري كمياته سلسلة من التحول الدوري المستمر الذي يبقى عليه بفضل مملكة النبات وضوء الشمس.

وثبت أن كميات الأوكسجين تقل بالصعود إلى أعلى حتى تصبح غير كافية للحياة ويشعر الإنسان بضيق الصدر.

وقد وصف القرآن هذه الحقيقة في بيان رائع. وقد كان الناس إلى عهد قريب يظنون أن الهواء يحتفظ بكل صفاته إلى أعماق الفضاء حيث تنتشر أجرام السماء كالقمر والمريخ والزهرة وعطارد[٢٢]، إلى أن ظهرت هذه الحقيقة التي أقرها القرآن من قبل.

ومن الأمثلة التي طبقت فيها هذه القاعدة ما جاء في " ظلال القرآن " حيث قال:

" يقول القرآن الكريم: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾) فيثبت حقيقة نهائية عن الشمس، وهي أنها تجرى... ويقول العلم: إن الشمس تجرى بالنسبة لما حولها من النجوم بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلاً في الثانية، ولكنها في دورانها مع المجرة التي هي واحدة من نجومها تجرى جميعاً بسرعة ١٧٠ ميلاً في الثانية... ولكن هذه الملاحظات الفلكية ليس هي عين مدلول الآية القرآنية، إن هذه تعطينا حقيقة نسبية غير نهائية، قابلة للتعديل أو البطلان... أما الآية القرآنية فتعطينا حقيقة نهائية – في أن

---

٢١ الزمخشري، أبو القاسم ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (٢/٦٠).

٢٢ أبو حجر، أحمد عمر، **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، (ص/٤٥٣ وما بعدها).

الشمس تجرى – وكفى... فلا نعلق هذه بتلك أبداً ".[٢٣]

٢٣ قطب، سيد، **في ظل القرآن** (٥/٢٢٠) ط : دار الشروق .

المبحث الثاني

قاعدة: يجب أن يكون الهدف من التفسير العلمي هو قصد هداية القرآن وإعجازه وغرس هدفه.

فلا داعي لمثل ما أورده الشيخ طنطاوي جوهري. في تفسيره – عن الفيل كيف يصاد، وأن (البصطرمة) من لحمه وكيف يفترس قانصه إذا أخطأه وحكاية فيل وخياط وأين تعيش الفيلة... الخ[٢٤].

فلابد " أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها وبيان موافقة القرآن الكريم للحقائق العلمية الثابتة ".[٢٥]

وأيضاً: تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعاً يعيد للأمة الإسلامية مجدها[٢٦].

"وهنا أذكر أن العلم الحديث قد يكون لبيان حقيقة المعنى القرآني، أي تفصيلاً لإجماله، فمثلاً معرفة حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان تأتى من معرفة علم الهيئة، فيذكر منه ما يوضح هذه الحقيقة. وقد يكون لمعرفة كمال المعنى، فمثلاً معرفة كمال معنى قوله –تعالى–: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨] تأتى من معرفة التشريح".[٢٧]

إذاً لابد أن تبقى الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية في حدود الهدف الأساسى للقرآن الكريم، وهو هداية الإنسان ولفت نظره إلى هذا الكون من حوله، ولفت النظر كذلك إلى أعماق النفس الإنسانية، وما حوله من حيوانات ونباتات وجمادات مسخرة له، لربطه بخالقه، وليزداد إيماناً ويقيناً بالله – عز وجل –.

لا أن تطغى هذه العلوم على الجانب التفسيرى للقرآن الكريم، حتى يصبح التفسير مرجعاً في الفلك أو الهيئة أو الرياضيات، ويخرج بذلك عن دائرة تفسير القرآن إلى علوم أخرى.

فالشيخ – طنطاوى جوهرى – رحمه الله – مثلاً: سار في تفسيره على نفس الطريق الذي خطه، فلا يكاد يفسر آية القرآن تفسيراً مجملاً حتى ينحرف بالقلم نحو بحوث مستفيضة، بعيدة عن معانى الآيات ومراميها كل البعد ويسميها لطائف أو جواهر.

---

٢٤ جوهري، طنطاوي، **تفسير الجواهر**، (٢٦٢/٢٥ وما بعدها).

٢٥ الرومى، فهد، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، (٢٨٣/١).

٢٦ الزرقاني، **مناهل العرفان**، (٧٣/٢).

٢٧ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/ ٧٨٢ وما بعدها).

وزاد تفسيره بعداً عن المألوف، بما أودعه فيه من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم. وهكذا أصبح هذا التفسير كتاباً جامعاً لكل شيء إلا التفسير (كما يقولون).[٢٨]

٢٨ لاشين، **اللآلئ الحسان**، (ص/٣٧٣) بتصرف.

المبحث الثالث

قاعدة: يجب أن يكون الاتصال وثيقاً بين الحقيقة العلمية والنص.

فينبغي أن يراعى أن يكون المعنى العلمي الصحيح والنص متصلين اتصالاً وثيقاً، فلا يكون المعنى مذكوراً مع النص لأدنى ملابسة ولا يكون مستبعداً ولا ملصقاً بالنص إلصاقاً، فإنه لا يكون من التفسير في شيء، وإن ربط بالنص كان برباط ضعيف.[٢٩]

ومن أصول التفسير المسلمة أنه لا يجوز تفسير القرآن باصطلاح حادث بعد نزوله، لأننا لو فعلنا ذلك لعدنا على معاني القرآن بالتحوير والتبديل، أو بالإبطال والإلغاء ! فالملائكة المسومون الذين قاتلوا مع النبي يوم بدر لا صلة لهم " بالجنود الذين يهبطون بواسطة الطائرات في الحروب الحالية ! والغواصات التي عمّ استعمالها جميع البحار لم تكن مستعملة في عصر سليمان – عليه السلام –[٣٠] على خلاف من استنتج ذلك من قوله – تعالى –: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ص: ٣٧) وقوله – تعالى –: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

فلا تكفي كلمة " غواص " أو "يغوصون" في سياق الحديث عن الشياطين للزعم بأن الغواصات التي عرفتها الحروب الحديثة كانت معروفة في عصر سليمان ! وكأن عصر سليمان – عليه السلام – عرف هذا التقدم والسبق في ميدان الاختراع.[٣١]

يقول الدكتور عبد الغفور جعفر – رحمه الله –: " ومما أعده لم يراع فيه هذا المبدأ ذكر بيضاوية الأرض والاستدلال عليها بأن للأرض مشارق، ولو كانت غير ذلك لكان لها مشرق واحد.

وذكر دورة المطر والربط بينها وبين النص الكريم: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

"والقول بأن انكدار النجوم يعني الاستغناء عن الاستفادة بضوئها بأضواء الكهرباء".[٣٢]أهـ

وهذه القاعدة – أيضاً – ترد على من زعم أن المراد بقوله – تعالى –: ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا

---

٢٩ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٧٨٩).

٣٠ فكري، علي، **القرآن ينبوع العلوم والفرقان**، (٥١/١).

٣١ زرزور، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، (ص/ ٤٠٧ وما بعدها).

٣٢ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٧٨٩ وما بعدها) ونسب هذا القول الأخير إلى الشيخ أحمد الصديق الغماري في كتابه (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية).

﴿ ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ ﴾ [المرسلات: ١ – ٥] الطائرات الحربية التي تعصف بقنابلها وتنشر المنشورات في ميادين الحرب، وعلى الأهالي والسكان في المدن للدعاية والأخبار بما تريده الدول المتحاربة، وتفرق بين الكتائب والجموع فرقاً، لأن الرعب بها والهزيمة أشد من غيرها... فالملقيات ذكراً في المنشورات، عذراً تعتذر به الدول عن ضربها بعض الأماكن البريئة، والتي ليس من مراكز الحرب أو نذراً تنذر بها السكان وتخوف وتوعد وتهدد وتطلب التسليم... [٣٣].

والانحراف في هذا التفسير واضح حتى إن المطالع له يستغرب كيف يقوله عالم.

وقال – أيضاً – عند قوله – تعالى –: ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ ﴾ [الزلزلة: ١ – ٢] بأن ذلك يعنى: استخراج البترول والغاز وهو أعظم ثقل في الأرض.[٣٤]

٣٣ الغماري، أبي الفيض أحمد مُحَمَّد الصديق، **مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية**، (ص/١٦).

٣٤ **المصدر نفسه**، (ص/٢٧).

المبحث الرابع

قاعدة: يجب ألا تحصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة.

بمعنى: القول بكل المعاني التي يتحملها النص. فعند الإحاطة بدلالات الكلمة اللغوية الحقيقية والمجازية واستعمالات العرب لها، إن وجد أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات، فلا بأس بالقول بذلك على ألا يُحكم على الأقوال الأخرى بالفساد.

وقال الدكتور الغمراوى بما يصل الحديث بالقديم، وذلك " ألا يقصر تفسير التعبير القرآنى على وجه واحد إذا تحمل التعبير أكثر من وجه حسب قواعد اللغة التي نزل بها القرآن، فكل معنى يفيده اللفظ أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مراد لله ،وإن لم يك معلوماً للبشرية قبل وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاص بأن الله سيكشف للبشر عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله ".[٣٥]

فمثلاً قوله – تعالى –: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ [القيامة: ٤].

كان إلى ما يقرب من مائة سنة يُنظر إلى دلالة (تسوية البنان) نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أنه لا يُبطل كلام السلف في معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه.

والشعور الذي استقر في نفوسهم على أن هنالك حكمة عظيمة في خلق البنان وتسويته على هذه الشاكلة شعور صحيح، وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث له معنى آخر، وكذلك شعورنا في دقة الصانع – سبحانه وتعالى – وحكمته سليم وصحيح.

ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول: إن معنى الآية هو هذا فحسب، وليس بعد هذا القول قول آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين واستنباط المفكرين وبصمة إعجاز على جبين العصور[٣٦].

كذلك تأمل بعض العلماء استعمال القرآن للفظ الضياء ولفظ النور فوجده متميزاً عن استعمال العرب، ومشيراً إلى معرفة ليست من معارفهم في عصر النزول، وذلك أن الضياء ينسب إلى الشيء الذي نوره من ذاته، والنور ينسب إلى الشيء الذي نوره مكتسب له من غيره، وهذا حال الشمس والقمر فكان قوله –

---

٣٥ الغمراوى، مُحَمَّد أحمد، **الإسلام في عصر العلم**، (ص/٢٩٤).

٣٦ مسلم، مصطفى، **مباحث في إعجاز القرآن**، (ص/١٧٤).

تعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا ۝٥ ﴾ (يونس: ٥) مشيراً إلى ذلك، فالشمس ضياؤها ذاتي، والقمر نوره مستفاد من انعكاس نور الشمس عليه.

ثم جاز أن يكون (ضياء) في الآية جمع ضوء، كثياب وثوب، فيكون إشارة إلى ألوان الطيف، فإنها مجموعة في ضوء الشمس، أما القمر فناسبه لفظ (نورا) في الآية مفرداً؛ لأنه لون واحد[٣٧].

وأيضاً في قول الله – تعالى –: ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقًا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ ۝٦ ﴾ [الزمر: ٦].

فسر ابن عباس – رضى الله عنهما – الظلمات الثلاث بأنها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة[٣٨]. والمشيمة: هي غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطاً به ليقيه وليكون به استقلاله مما ينجر إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصة به دون أمه[٣٩].

ويرى البعض أن الظلمات الثلاث هي الرحم والسلى (كوريون) والرهل (أمنيون).[٤٠]

وهي – في هذين القولين – ظلمة واحدة في مكان واحد تحيط به طبقات متعددة، ولهذا كان الرأي الآتي أرجح في نظر المعلقين على المنتخب في تفسير القرآن الكريم.

وهو أن الظلمات الثلاث هي المبيض الذي تنشأ فيه البويضة وقناة فالوب التي تمضى فيها البويضة إلى الرحم فلا تصله إلا بعد بضعة أيام قد يقدر لها في أثنائها أن يخصبها الحيوان المنوي من الرجل، والرحم هو الظلمة الثالثة، وكان هذا الرأي عندهم أرجح لأنها ثلاث متفرقات في أماكن مختلفة، وفى كل منها يحصل ما أشارت إليه الآية الكريمة: (خَلۡقًا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٍ)[٤١].

والخطاب في الآية الكريمة: (**يخلقكم**) للجميع فيفهم منها العامة معنى، والأطباء معنى، وتتعدد الأقوال والفهوم، ويأخذ المفسر بها جميعاً وإن ترجح بعضها، فإن الأخذ بها جميعاً مقام والترجيح مقام آخر لا

---

٣٧ المتعافى، رضوان شافعى، **التوفيق العلمي بين الحضارة والإسلام**، (ص/٥٨)، جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٧٩٤) قال: "وفى لسان العرب مادة ضوء أن ضياء يكون جمعاً".

٣٨ الطبري، **أبو جعفر** ، **جامع البيان**، (١٩٦/٢٣)، البغوي، **معالم التنزيل**، (٧٢/٤).

٣٩ ابن عاشور، الطاهر، **التحرير والتنوير**، (٣٣٤/٢٣).

٤٠ محمود، عفيفي، **المحاضرات العامة للموسم الثقافي**، (ص/٢٠٦ وما بعدها) من بحثه بعنوان (علم الأجنة في القرآن) (ص/ ١٩٧-٢٣١).

٤١ **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، (ص/٦٨٤) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

يعارضه.[٤٢]

ولكن هذا التفسير يخالف ما قاله سلف المفسرين من أن الظلمات الثلاث ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، مما يتعارض مع القاعدة التالية.

٤٢ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٧٩٦).

المبحث الخامس

قاعدة: يجب – عند التفسير الإشاري العلمي – مراعاة ما قاله المفسرون.

وهذه القاعدة قريبة المعنى من سابقتها، فينبغي أن لا يخالف صاحب المعنى الجديد إجماعاً ولا يبطل معنى ممكناً قاله مفسر، ولا يقتصر على المعنى الجديد – إلا إذا نص على أنه سيقتصر عليه مع اعترافه بوجود ما يصح في المراجع –، بل يضمه إلى المعنى المجمع عليه، أو يضمه إلى ما اتجه من تفسيرات المفسرين.

فمثلاً:

قول الله – تعالى –: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

تعددت أقوال العلماء في هذا العذاب الذي توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم.

فقيل: هو الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون.[٤٣]

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: السلاطين الظلمة. ﴿ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ العبيد السوء[٤٤].

وهذا التفسير المروى عن ابن عباس ومن وافقه من المفسرين لم يراعه الغمارى، بل أدعى بطلانه وفسر العذاب من فوق ومن تحت بالطائرات الرامية بالقنابل والألغام والغواصات وقال: " ولما لم يكن في زمن المفسرين شيء من ذلك فسروا العذاب من فوق بالملوك ومن تحت الأرجل بالعبيد، ولا يخفى بطلانه ولكنهم معذورون؛ لأنهم لم يروا ما يصلح أن تطبق عليه الآية كما رأينا نحن والحمد لله ".[٤٥]

وكلام العمارى السابق باطل لمخالفته للقاعدة السابقة وغيرها، بل إن على هذا الكلام مؤاخذات:

أولاً: أنه قصر نظره على ما في قول ابن عباس من معنى، ولم ينظر إلى ما فعل بقوم شعيب، وما إلى ذلك.

---

٤٣ الطبري، **جامع البيان**، (٢١٩/٧)، البغوي، **معالم التنزيل**، (١٠٤/٢).

٤٤ الطبري، **جامع البيان**، (٢٢٠/٧) البغوي، **معالم التنزيل**، (١٠٤/٢) وغيرهما.

٤٥ الغمارى، **مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية**، (ص/٢٠).

ثانياً: زعم أن ذلك القول لا يخفى بطلانه، بينما هو لا يخفى صوابه، وزعمه هو الباطل[٤٦]، فهلا قال مثل ما قال الإمام الطبرى – رحمه الله –: حيث قال: "وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندى قول من قال: عنى بالعذاب من فوقهم؛ الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أرجلهم: الخسف وما أشبهه. وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره وإن كان لما روى عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح غير أن الكلام إذا تنوع في تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ما لم يأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها".[٤٧] أهـ

ثالثاً: عذر المفسرين في مجانبة الصواب – بزعمه – وهم لم يجانبوه.

رابعاً: علل عذرهم بأنهم لم يروا وليست الرؤية شرطاً في إصابة التفسير ولا عدمها عذراً.[٤٨]

خامساً: كان عليه أن يجمع بين أقوال المفسرين ويضيف الجديد إلى القديم، كما هو معنى هذه القاعدة.

والصواب أن النص عام وأن من أفراده الرجفة والخسف والظلمة وأئمة السوء وعبيد السوء والطائرات والغواصات وما إلى ذلك[٤٩].

والظاهر أن عدم مراعاة ما قاله المفسرون كان شائعاً عند الغمارى، فعند قول الله – تعالى –: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: ٤١] جاء في تفسير البغوى أن هذا المثل قيل: هو السفن الكبار، وقيل: الصغار التي عملت بعد سفينة سيدنا نوح، وروى عن ابن عباس أنه قال: "يعنى الإبل، فالإبل في البر كالسفن في البحر".[٥٠]

ولكن الشيخ الغمارى قال بأن ما هو من مثل الفلك المشحون هو بابور السكة الحديد، والسيارات التي تحمل الركاب ببضائعهم، وقال: إن هذا هو المراد بالآية جزماً، وإن حملها على الإبل باطل مقطوع ببطلانه ".[٥١]

---

٤٦ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٨٠١).

٤٧ الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٢٢١/٧).

٤٨ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٨٠٢).

٤٩ **المصدر نفسه**، (ص/٨٠٢).

٥٠ البغوي، **معالم التنزيل**، (١٤/٤).

٥١ الغمارى، **مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية**، (ص/٦ وما بعدها).

فكان ينبغى عليه أن يذكر ما يراه ويضمه إلى ما قاله السلف، ثم في مقام الترجيح تترجح بعض الآراء على الأخرى ولا نذكرها بالبطلان.

ورأي الغمارى هذا منقوض بما يلى:

أولاً: كيف تكون الطائرات وما إليها آية لهم وهم العرب والمسلمون الأولون وهم المقصودون أولاً بحكم السبق الزمنى بلفت النظر إلى الآيات، ولم تكن آية الطائرات أو السيارات أو بابور السكة الحديد قد وجدت ؟

ثانياً: التعبير بالماضي (حملنا)، (خلقنا) الذي انسحب على الماضي وينسحب على المستقبل لا يتمحض للمستقبل ويعزل عن الماضي من غير حجة.

ثالثاً: لم يؤت بفعل الخلق في جانب الفلك؛ لأن الفعل (خلق) مختص بالإيجاد الإلهي دون صنع الناس، وجيء به في جانب يختص به دون صنع الناس وهو الإبل فلا صنع للناس فيها، فهي المرادة بقوله – تعالى –: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يس: ٤٢][٥٢].[٥٣] والله أعلم.

---

٥٢ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٧٣/٢٥) بمعناه.

٥٣ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٨٠٢ وما بعدها).

المبحث السادس

قاعدة: يجب مراعاة الاستعمالات والمعاني العربية عند التفسير الإشاري العلمي.

وهذه قاعدة عامة في التفسير عموماً، فليست قاصرة على التفسير العلمي، وإنما خُص التفسير العلمي بالذات؛ لأنه هو المقصود في هذا المبحث.

فلابد من مراعاة الاستعمالات العربية بحسب متن اللغة والمعاني كما ورد في القواميس.

فمثلاً:

قول الله – تعالى –: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفيل: ٣].

هذا معنى حقيقى مقصود في الآية، والمقصود بها فرقاً من الطير يتبع بعضها بعضاً.[٥٤]

غير أن الإمام مُحَمَّد عبده قال بمعنى آخر، حيث قال بأنها الجراثيم والميكروبات.[٥٥]

وذكر الدكتور السيد الجميلي أن ﴿ أَبَابِيلَ ﴾ تعنى البلبلة، حيث الإصابة ببلبلة الفكر تبلبل رؤوسهم، وقال: إن الحجارة لو كانت من جهنم ما احتجنا إلى الفاء في ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ لدالة على التعقيب والفترة ولو قصيرة جداً بين العدوى بالميكروب والعصف المأكول، فالجهنمية تفعل فعلها بلا فترة فكان يقتضى التعبير بواو المعية لا بالفاء الفجائية، فهي حجارة دنيوية (ميكروبية).[٥٦]

وهذان القولان لا أوافق عليهما؛ لأنهما فوق طاقة الأساليب العربية.

فبالنسبة للأول لا يستقيم المعنى معه؛ لأن المعنى يصير: وأرسل عليهم جراثيم ترميهم بحجارة.

وبالنسبة للثاني: فما تخيله من فترة بسبب دلالة الفاء لا يصح له، وما أوجبه من الفورية لو كانت الحجارة جهنمية ليس واجباً، بل الفورية والمعية والتراخي كما يشاء الله يكون. والجهنميون كلما نضجت جلودهم بدلها الله – تعالى – جلوداً غيرها.

وليس في الآية أن النضج فورى، وإذا قلنا ضربه فأوجعه – أو ضربه فقتله – فهل هناك فترة لازمة من الفاء

---

٥٤ الطبري، **جامع البيان**، (٢٩٧/٣٠)، الكشاف (٨٠٥/٤)، البغوي، **معالم التنزيل**، (٥٢٨/٤)، الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٢٨/٨)، البيضاوي ، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (٥٣١/٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٥٤٩/٣٠) وغيرها.

٥٥ عبده، مُحَمَّد، **تفسير جزء عم**، (ص/١٥٨).

٥٦ الجميلي، السيد، **الإعجاز الطبي في القرآن**، (ص/١٠١).

بين الضرب والوجع أو بين الضرب والموت!.[٥٧]

ومن ذلك – أيضاً – تفسير الدابة التي تحدث عنها القرآن – في قوله – تعالى –: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٨٢]. فالمعروف الذي عليه أقوال المفسرين أنها دابة حقيقية تكلم الناس إما ببطلان الأديان سوى دين الإسلام أو أنها تقول لواحد: هذا مؤمن وتقول لآخر: هذا كافر، وقيل: كلامها ما قال الله – تعالى –: ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[٥٨]. ولكن هناك من فسر الدابة بالأقمار الصناعية وغزو الفضاء.

قال الدكتور عبد الرزاق نوفل:

"فهذه الأقمار التي خرجت من الأرض في الوقت الذي انتشر فيه الإلحاد لتتحدث عما في الكون الغامض وتزيح بعضاً من هذا الغموض، والتي ستضفي بعضاً من المعرفة على حقيقة الفضاء الكوني الهائل، والتي يعتبر حديثها أخطر حيث ينصت إليه البشر على اختلاف أجناسهم وميولهم وأديانهم ألا يمكن أن تكون هذه هي الدابة التي تنبأ بها القرآن الكريم في سورة النمل في الآية (٨٢).[٥٩]

ويقول – أيضاً –:

" وكان من الممكن – أيضاً – أن نشير إلى أن في هذه الآية من المعجزات التي لم تتحقق بعد وأن الزمان في انتظارها يقيناً، وكان من المستطاع الربط بينها وبين الأقمار والصواريخ التي خرجت من الأرض وهي تدب إلى السماء، وأنها تكلم الناس الآن بلغة العلم وهى اللغة العالمية. ويتوقع العلماء أنه عن طريق هذه الأقمار والصواريخ سيعرف العالم ما في الكون من معجزات ".[٦٠]

فهذا التفسير لا يتناسب مع اللغة العربية واستعمالاتها، وفوق طاقاتها، فلا ألفاظ الآية تحتمل هذا المعنى، ولا المناسبة بين هذه الآية وبين الآيات التي قبلها، فالآيات قبلها إخبار عن الكافرين واستهزائهم بالبعث[٦١]، واستعجالهم أمر الساعة والعذاب بقولهم: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النمل: ٧١].

---

٥٧ جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (٧٩١).

٥٨ البغوي، **معالم التنزيل**، (٤٢٨/٣).

٥٩ نوفل، عبد الرزاق، **القرآن والعلم الحديث**، (ص/٢١٢ – ٢١٦).

٦٠ نوفل، عبد الرزاق، **بين الدين والعلم**، (ص/١٤٠).

٦١ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النمل:٦٧].

فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي:

" إذا أرد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أخرج لهم دابة من الأرض...".[٦٢]

وأيضاً – فالآية لها شاهد من حديث رسول الله، – ε –، ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت حديثاً لم أنسه بعد. سمعت رسول الله – ε – يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً ».[٦٣]

وعليه فدابة الأرض تعبير قرآني عن حيوان نكل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله – عز وجل –، وحسبنا أن نقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك. وإنما يقضى عليهم بما هم عليه حينئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم.[٦٤] والله أعلم.

---

٦٢ ابن عطية ، أبو مُحَمَّد ، **المحرر الوجيز** (٢٧٠/٤) دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٦٣ أخرجه مسلم في "صحيحه" – كتاب: **الفتن وأشراط الساعة** – باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس – ح (٢٩٤١) .

٦٤ قطب، سيد ، **في ظلال القرآن**، (٢٠/٥).

المبحث السابع

قاعدة: يجب التزام المنطق الصارم في المطابقة بين الآيات القرآنية وما يتصل بموضوعها من الحقائق الكونية.

فلابد عند الاستنباط من القرآن والمطابقة بينه وبين الحقائق العلمية من التزام هذه القاعدة فيقتضى ذلك إذا تعددت النصوص في موضوع واحد أن يجمعها الباحث، بمعنى: " أن تكون المطابقة بين الحقيقة الكونية وبين جملة ما يتصل بها أو بموضوعها من الآيات القرآنية، لا بينها وبين آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر ولا يتبين إلا في ضوء آيات أخرى في نفس موضوعها ".[٦٥]

لأن المطابقة بين الرأي القرآني والحقيقة العلمية ليظهر بجلاء ووضوح إذا ما درست آيات الموضوع الواحد وربطت بعضها ببعض لتفسر كل منها الأخرى ويتم التعليق عليها بما أوضحه العلم.[٦٦]

فمثلاً:

لفظ بناء في القرآن لم يرد إلا متعلقاً بالسماء ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢] ولفظ بنيان لم يرد إلا متعلقاً إلا بما يبنى الإنسان في الأرض مثل: ﴿ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم ﴿٢١﴾ ﴾ [الكهف: ٢١]، ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة: ١١٠]، ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الصافات: ٩٧]... الخ.

وهذا – كما قال الغمراوى – " أمر له دلالته، وإشارة دقيقة إلى أن هناك فرقاً بين طبيعة بناية السماء وطبيعة البنيان في الأرض، والفرق فيما يبدو لأول وهلة أن البناية في الأرض متلاحمة الأجزاء، لبنة إلى جنب لبنة، أما السماء فلبناتها الكواكب والنجوم وما إليها، وليس فيها نجم يمس نجماً ".[٦٧]

وزينة السماء الدنيا ذكرت على أنها المصابيح تارة، والكواكب تارة ففهم من ذلك أنهما نوعان من الزينة لا عنوانان لنوع واحد، فالمصابيح هي النجوم المضيئة بذاتها، والكواكب هي الأقمار التي تعكس ضوء غيرها، ولا تضيء بذاتها كما يشير إلى هذا قوله – تعالى –: ﴿ ۞ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥] فهذه الزجاجة – أو هذا الكوكب – يعكس ضوء المصباح وليس بنفسه

---

٦٥ شريف، مُحَمَّد إبراهيم، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر**، (ص/٦٧٦)، جعفر، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، (ص/٧٨٦).

٦٦ شريف، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر**، (ص/٦٧٧).

٦٧ وجدي ، مُحَمَّد فريد الإسلام في **عصر العلم** (ص/٣٨٢ وما بعدها).

متقداً.[٦٨]

فهذا كله من الإشارات العلمية التي ربما تحظى بالقبول.

أيضاً عند تعرض المفسر لموضوع علمي يتعلق بالرياح فلا يمكن تفسير قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢٢] فقط دون ذكر وفهم قوله – تعالى – ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧] ودون النظر إلى قوله – تعالى –: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر: ٩]وهكذا. والله أعلم.

---

٦٨ **المصدر نفسه**، (ص/٣٨٩).

المبحث الثامن

قاعدة: لا تناقض بين القرآن وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائط الإنسانية.

وذلك لأن الجميع مرده إلى الله – عز وجل –، فالقرآن منزل من عند الله يقيناً، بواسطة أمين الوحي جبريل – عليه السلام –، لخاتم الأنبياء – ﷺ –. فمن المستحيل أن يخبر الله في كتابه عن بعض ما خلق أو ما سيكون في كونه، بخبر مخالف لواقع ما خلق أو ما سيكون.

« فينبغي أن يكون من المسلمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية بأي جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات – إذا كانت قطعية الدلالة – لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل الجهد البشرى إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية ».[٦٩]

وما يثيره بعض الناس من توهم بوجود تناقض فهو سوء فهم للحقيقة القرآنية بأن يتوهمها قطعية الدلالة ولا تكون كذلك، أو سوء فهم للحقيقة العلمية بأن يظنها حقيقة علمية وهى لا تزال في طور النظرية[٧٠].

وبناء على ذلك، فإن التناقض لا يمكن أن يحدث إلا ضمن واحد من الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول: أن يكون ما توصلت إليه أدوات المعرفة الإنسانية ووسائلها لم يصل بعد إلى أن يكون حقيقة علمية، بل مازال:

- إما ظناً راجحاً قابلاً للتعديل والتبديل، أي: " نظرية " بحسب مصطلح علماء البحث الكوني، فلم يقل العلماء فيه الكلمة الأخيرة النهائية.
- وإما ظناً متردداً بين احتمالين أو احتمالات متكافئة.
- وإما ظناً مرجوحاً لم يقترن بعد بأي دليل يقويه حتى يجعله مساوياً لنقيضه أو راجحاً عليه.

وهذا الاحتمال بأقسامه الثلاثة لا يصلح لأن يقف في مواجهة خبر الوحي الذي يقدم معرفة يقينية، حول الموضوع نفسه الذي قدم عنه الاحتمال فكرته.

الاحتمال الثاني: أن يكون الخبر المنسوب إلى الوحي لم يصل إلى مستوى اليقين العلمي. مثل خبر الآحاد فما دونه، مما لم تثبت صحته بيقين.

---

٦٩ مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، (١٧٤ وما بعدها).

٧٠ **المصدر نفسه**، (١٧٤ وما بعدها).

الاحتمال الثالث: أن يكون فهم خبر الوحي فهماً لم يصل إلى مستوى اليقين القطعي، بل هو اجتهاد ظني.

مثل فهم قول الله – عز وجل – عن الأرض: ﴿ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النازعات: ٣٠]، ﴿ طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾ [الشمس: ٦] بمعنى جعلها مبسوطة، أي: لا كصخرة كبيرة شبه مدورة، فالبسط تفسير ظني اجتهادي، لا تفسير يقيني، وهو قابل للتعديل، وبالتعديل يمكن أن يفهم النص بمقتضى حقيقة علمية تثبت بيقين، واللفظ القرآني يساعد على ذلك بقوة.[٧١]

المبحث التاسع

قاعدة: يجب ألا يفسر المفسر العلمي المعجزات والأمور الخارقة للعادة التي نصت عليها الآيات الكريمة بالحقائق العلمية.

فلا يفسر المفسر العلمي المعجزات والأمور الخارقة للعادة في القرآن الكريم بالحقائق العلمية، نظراً لافتراق موضوع هذه الآيات عن آيات الكون والطبيعة وأطوار الخلق، فلا يمكن إقحام المعجزات والأمور الخارقة للعادة في باب العلم التجريبي، لأنها إنما تثبت بمقدار مخالفة السنن والقوانين، فكيف يتأتى تفسيرها من خلال هذه السنن والقوانين ؟.

ولذلك فإن من فعل ذلك من الباحثين المعاصرين، فقد شطح وابتعد عن منهج القرآن الكريم.

كمن فسر حمل مريم بعيسى – عليهما السلام – بكونها خنثى – أي: من له مبيض في جهة، وخصية في الجهة الثانية !!.[٧٢]

ولا يدرى القارئ مع هذا التفسير العجيب كيف تكون مريم وابنها – عليهما السلام – آية للعالمين.

وهذا الشيخ طنطاوي جوهري، وهو يتحدث عن معجزة موسى – عليه السلام – التي نصت عليها الآية الكريمة: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٠] ذكر: أن الله – تعالى – اختار الحجر ليضربه موسى بعصاه دون غيره ليلفت العقول إلى بدائع خلقه ومعجزاته في الكون، فالحرارة تحول الماء بخاراً، والبرد يجمده وهو بين الصخور فيصدّعها !! [٧٣]

---

٧١ الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، (ص/٢٣٣ وما بعدها).

٧٢ صدقي، محمد توفيق، **دروس في سنن الكائنات**، (٥١/١).

٧٣ حمادة، فاروق، **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، (ص/٢٤٧)، نقلاً عن: **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، (٧٠/١).

فيجب ألا تدخل هذه الآيات في نطاق التفسير الإشاري العلمي. والله أعلم.

المبحث العاشر

" نموذجان من التفسير الإشاري العلمي المقبول "

١- قال – تعالى –: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل: ٦٦].

تعرض المفسرون في هذه الآية لبيان معنى قوله – تعالى –: ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾. فذكروا أن معناها: أن هذا اللبن يخرج خالصاً من الفرث والدم، أو أن المراد من الخالص هنا الأبيض[٧٤]. إلى غير ذلك مما قالوه.

ويأتي العلم الحديث ويثبت أن هذه الآية تستدعى تأملاً دقيقاً لمعرفة حكمة الخلق والتدبير الإلهي العظيم، وفيها عبر وآية دالة وحدانية الله وقدرته وحكمته في خلقه. فقد كتب الأستاذ أحمد كامل ضو تقريراً حول هذه الآية في كتابه " القرآن والعلوم الحديثة " يقول:

" إن الجهاز الهضمي يقوم بهضم الغذاء وامتصاص الصالح منه، وهذا الجزء الصالح منه يذهب إلى الدم فيختلط به، وباستمرار دخوله في القلب وخروجه منه ثم مروره في أجزاء الجسم المختلفة يغذى ما يحتاج منها إلى غذاء، فالغذاء إذاً تحول جزء منه إلى دم وجزء إلى (فرث) فالدم يسير في أوعية وهى الشرايين والأوردة المنتشرة في جميع أجزاء الجسم صغيرها وكبيرها حاملاً المواد الغذائية الذاهبة إليه من القناة الهضمية ليوزعها في أنحاء الجسم لبناء الأنسجة وتعويض المستهلك أثناء تأدية الوظائف الحيوية، وهو يغذى الغدد التي منها الغدد اللبنية (ضرع الحيوان) المنوط بها إفراز اللبن فتتمكن من القيام بوظيفتها وهي إفراز اللبن.

أما الجزء الآخر من الغذاء فإنه يتحول إلى فرث.

فإنه – تعالى – سيطر بقدرته على الطعام فشطره شطرين هما الدم والفرث وأخرج من بينهما اللبن خالصاً من كل شائبة تشوبه من أثر الطعام المهضوم ورائحته، صافياً من كل المواد التي كانت في الدم ناصع البياض طاهراً، وذلك بعملية الغدد اللبنية التي خلقها – سبحانه – كمعمل كيميائي يتحول الدم فيه إلى لبن، ثم يصفى بأدق مصفاة وأنظف أداة حتى يخرجه – تعالى –: (لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ)... ولو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا من الدم الأحمر لبناً أبيض خالصاً، له طعم ورائحة وقوام وتركيب يخالف الدم

---

٧٤ الطبري، **جامع البيان**، (١٣٣/١٤)، ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، (٥٧٥/٢) (٥٣/٢٠)، القرطبي ، أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن (١٢٤/١٠)، أبو حيان ، مُحَمَّد بن يوسف **البحر المحيط** (٤٩٤/٥) وغيرها.

الذي نشأ منه نتيجة واتفق معه أصلاً، أو حتى يجعلوه صافياً كما خلقه الله – جلت قدرته – لأخفقوا ولما استطاعوا ".[٧٥] أهـ

فهذا التقرير أو هذه النظرة التي تناول بها الكاتب الآية الكريمة حققت الشروط والضوابط، فلم تخالف قول المفسرين، ولم يشطح بالآية بعيداً عن معناها... الخ.

ولذلك تناول الشيخ مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور هذه الآية من الناحية العلمية، فقال: " وجه العبرة في ذلك أن ما تحتويه بطون الأنعام من العلف والمرعى ينقلب بالهضم في المعدة ثم الكبد ثم غدد الضرع مائعاً يسقى وهو مفرز من بين إفراز فرث ودم. والفرث: الفضلات التي تركها الهضم المعدي فتنحدر إلى الأمعاء فتصير فرثاً. والدم: إفراز تفرزه الكبد من الغذاء المنحدر إليها، ويصعد إلى القلب فتدفعه حركات القلب الميكانيكية إلى الشرايين والعروق ويبقى يدور كذلك بواسطة القلب ".[٧٦] أهـ

فهذا التفسير يتفق إلى حد كبير مع هداية القرآن وفهمه في ضوء ما قال به العلم، لأنه يلتمس الحكمة فيما عبر به القرآن واتفق مع ما جاء به العلم، تحقيقاً لقوله – تعالى –: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

٢– الخمر وحكمة تحريمها علمياً:

قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠].

لقد وصف القرآن الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان، وبأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولا يوجد إثم من الآثام يدخل ضرره في كل شيء بالخمر من الأفعال والكذب من الأقوال. فإلى جانب أضرارها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وإذهابها للعقل لها أضرارها الصحية، وهي كثيرة أثبتها الطب الحديث. فمنها إفساد المعدة وفقد الشهية للطعام، ومرض الكبد والكلى وداء السل.

وقد قال الأطباء: إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم في مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل.

---

٧٥ ضو، أحمد كامل، **القرآن الكريم والعلوم الحديثة**، (ص/ ٥٦ – ٦٠).

٧٦ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٤/٢٠٠).

ومن تأثير الخمر في اللسان: إضعاف حاسة الذوق، وفى الحلق الالتهاب، وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة في الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها. وقد يحدث فيها احتقاناً والتهاباً، وتحدث في الأمعاء التقرح، وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذي يضعف عمله وكل هذا يتعلق بالجهاز الهضمي.

ومن تأثيرها في جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهيج شعب التنفس، وأهون من ذلك بحة الصوت والسعال، وأعظمها تدرن الرئة.

وفى الجهاز العصبي تولد الجنون، وفى التعامل مع الناس وقوع النزاع والخصام بين السكارى بعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاملهم أو يعاشرهم.[٧٧]

كما أثبت الطب الحديث أن الأشخاص الذين يتعاطونها أكثر استعداداً للمرض وأقل مقاومة له من الذين لا يتعاطونها، وكذلك يكونون أقل تحملاً لأن تجرى في أجسامهم العمليات الجراحية.[٧٨]

وقد يدعى البعض أن الخمر قد تستعمل كدواء لبعض الأمراض، ولكن هذا الادعاء لا أساس له من الصحة، وقد نقل عن كثير من أطباء العالم قولهم: إنها لا كدواء، فهذا طبيب إنجليزي يصرخ في قوة قائلاً: " أنا لا أعلم مريضاً شفى من الخمر ". ويقول طبيب آخر اسكتلندي: " الخمر لا تشفى شيئاً " ويقول ثالث: " إن الخمر تدخل الجسم وتخرج منه ولا أثر لها إلا ما تحدثه من أضرار ".[٧٩]

وهكذا تتوارد أقوال الأطباء في أنها لا تصلح أن تكون علاجاً لأي مرض. ولقد روى مسلم في صحيحه أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي – ﷺ – عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها فقال: إنما أصنعها للدواء فقال الرسول – ﷺ –: «إنه ليس بدواء ولكنه داء».[٨٠]

وقد انتقد مؤتمر الأطباء الدولي سنة ١٩٢٩ الخمر كدواء، وقرر أن انتشارها هدم لسعادة الأمم وتقويض لبناء الأخلاق. [٨١]

---

٧٧ رضا ، مُحَمَّد رشيد **تفسير المنار**، (٢٦٠/٢) ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٧٨ أبو حجر، أحمد، **التفسير العلمي للقرآن الكريم**، (ص/٤٦٧).

٧٩ جوهري، **تفسير الجواهر**، (١٩٧/١).

٨٠ أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" كتاب: **الأشربة** – باب: تحريم التداوي بالخمر وبيان أنها ليست بدواء (١٥٧٣/٣) عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه وائل الحضرمي – ح (١٩٨٤) .

٨١ مهران، جمال الدين وآخرون، **الغذاء والدواء في القرآن الكريم**، (ص/ ١٤٩)، أبو حجر، **التفسير العلمي للقرآن الكريم**، (ص/٤٦٧).

فهذا النموذج من التفسير العلمي توافرت فيه الشروط والقواعد اللازمة له، فلا هو نحا منحى بعيداً عن اللغة وحملها فوق طاقاتها، ولا شطح بعيداً عن سياق الآيات، ولا أبطل ما قاله المفسرون أو غير ذلك.

ومع ذلك فإن هذا يبين هداية القرآن وإعجازه في حكمة النهى عن كل ما هو ضرر للبشرية، فصدق الله العظيم فيما قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢]. والله أعلم.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد، فقد تم بفضل الله – تعالى – الحديث عن القواعد التفسيرية المتعلقة بالإشارات العلمية للقرآن الكريم جمعا ودراسة ونقدا، داعما ذلك ببعض من نماذج بعض من تصدى لذلك وانعكاس ذلك على تفسيراتهم، وقد بيَّنَت هذه الدراسة بعض الأسس التي ينبغي للمفسر أن يسير عليها.

نتائج البحث:

بعد هذا العرض يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

أولا: لا يمكن قبول التفسير الإشاري إلا بضوابط صارمة منها: لا يفسر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض أو النظريات إلى مقام اليقينيات التي لا يتطرق إليها التغيير والتبديل.

ثانيا: كثير ممن تكلموا في التفسير الإشاري – إلا من رحم الله- يلوون أعناق النصوص، والقرآن الكريم في غنى عن ذلك لأنه (تنزيل من حكيم حميد).

ثالثا: لا تناقض بين القرآن وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائط الإنسانية.

التوصيات:

أولا: أوصي بوضع ضوابط صارمة لكل من تسول له نفسه ليّ أعناق النصوص القرآنية، وسنّ قوانين رادعة لمن يتجرأ على القول على الله بغير علم.

ثانيا: أوصي بعقد مؤتمرات تبين القواعد الضابطة للتفسير الإشاري بإشراف أساتذتنا من علماء التفسير واللغة.

المصادر والمراجع

١. أحمد عمر أبو حجر، **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، بيروت – لبنان: دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

٢. البغوي، **معالم التنزيل**،الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع،د.ط،د.ت.

٣. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤. الترمذي، أبو عيسى، **سنن الترمذي** — سنن الترمذي- دار الغرب الإسلامي — بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٥. جعفر، عبد الغفور، **التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد**، القاهرة: دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ — ٢٠٠٧م.

٦. جوهري، طنطاوي، **تفسير الجواهر**، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ.

٧. الخولي، أمين، **التفسير: معالم حياته – منهجه اليوم**، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٨. **الدارمي – أبو مُحَمَّد عبدالله – سنن الدارمي** - دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٩. الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٢٠ هـ.

١٠. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع**، بدون عنوان طبع د.ط،د.ت.

١١. الرومي، فهد، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، - بدون عنوان طبع،د.ط،د.ت.

١٢. الرومي، فهد، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، الرياض: مكتبة الرشد، د.ط، د.ت.

١٣. زرزور، عدنان، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، الأردن: دار الإعلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٤. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٥. الزنيدي، عبد الرحمن، **مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر**، الرياض: مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٦. شريف، مُحَمَّد إبراهيم، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر**، القاهرة: دار التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٧. الصباغ، مُحَمَّد، **لمحات في علوم القرآن**، المكتب الإسلامي سنة النشر: ١٤١٠ - ١٩٩٠ .

١٨. صدقي، مُحَمَّد توفيق، **دروس في سنن الكائنات**، مصر: في "مجلة المنار"، الطبعة الأولى، ١٣٣٣هـ.

١٩. ضو، أحمد كامل، **القرآن الكريم والعلوم الحديثة**، ، الطبعة الثانية، ١٩٥٥م.

٢٠. الطبري، **جامع البيان**، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،د.ط،د.ت.
٢١. ابن عاشور، الطاهر، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر،د.ط،د.ت.
٢٢. الغماري، أبي الفيض أحمد مُحَمَّد الصديق، **مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية**، (د.م: مكتبة القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٨٧م).
٢٣. الغمراوى، مُحَمَّد أحمد، **الإسلام في عصر العلم**، دار الكتب الحديثة، د. ط، ١٩٧٨م.
٢٤. فكري، علي، **القرآن ينبوع العلوم والفرقان**، المطبعة السلفية، مصر،الطبعة الأولى، د.ت.
٢٥. ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٦. لاشين، موسى شاهين، **اللآلىء الحسان**، دار الشروق، د.ط، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.
٢٧. المتعافي، رضوان شافع، التوفيق العلمي بين الحضارة والإسلام، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٣٥٤هـ.
٢٨. مسلم بن الحجاج - **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٩. مسلم، مصطفى، **مباحث في إعجاز القرآن**، ،دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٠. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة العشرون، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
٣١. مهران، جمال الدين، وآخرون، **الغذاء والدواء في القرآن الكريم**، (د.م: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، سنة ١٩٧٢م).
٣٢. الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله – عز وجل –**، (دمشق: دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م).
٣٣. نوفل، عبد الرزاق، **القرآن والعلم الحديث**،سلسلة المكتبة الثقافية،القاهرة،د.ت،د.ط.
٣٤. نوفل، عبد الرزاق، **بين الدين والعلم**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط الأولى،د.ت.